سلسلة المدن الفلسطينية
٢٢

قلقيلية

حتى عام ١٩٤٢م



تأليف

المرحوم الشيخ محمد صالح الخطيب (صبري)

تحقيق

أ.د.يحيى جبر

سلسلة المدن الفلسطينية
٢٢

قلقيلية

حتى عام ١٩٤٢ م

تأليف
المرحوم محمد صالح الخطيب

تحقيق
أ.د. يحيى جبر

منشورات الدار الوطنية للترجمة والطباعة والنشر والتوزيع
نابلس - ص. ب ٤٧٤ - هاتف وناسوخ ٩٤٢١١١ - ٠٩

هذا الأثر

اتاني بهذا الأثر للمرحوم محمد صالح الخطيب الفنان التشكيلي الشاب اياد الهندي قبل نحو من عام ، وقطعت على نفسي يومذاك ان اتولى نشره، فزودني مشكوراً بصورة منه ، وها نحن في الجمعية العلمية الفلسطينية ننهض بذلك لنعرف القارىء بجانب من صورة هذا البلد ، وتحديداً ما كان من شانه قبل عام ١٩٤٢ ، وهو عام صنف المؤلف هذا الكتاب ، ولينضم الى سلسلة المدن الفلسطينية التى اصدرتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الألكسو) ودائرة الثقافة بمنظمة التحرير الفلسطينية .

والمؤلف دقيق في مادته ، ويذكرنا بمنهج الرحالة من الجغرافيين العرب في المسالك والممالك ووصف البلدان ، وكان بودنا لو اتيح لنا (او لغيرنا) ان يضع كتابا تفصيليا يكمل ما وضعه القطناني فنضمه اليه ، وليكون لدينا لدينا سفر شامل عن هذه المدينة التي تتطور بسرعة فائقة.

والحقنا بالكتاب إقتباسين من كتابين خصصا للبلدان الفلسطينية قديماً ، وحديثاً ، وزينا الغلاف بمنظر لمركز المدينة التقطناه ١٤ / ٥ / ١٩٩٥. ونامل ، في طبعة ثانية ، ان نضم اليه معلومات اكثر وأن نزوده بالصور التي توضح تبدل الأحوال من زمن لآخر .

واخيراً ، نرجو من كل من يريد ان يعقب او يعلق على هذا العمل ، او يريد أن يضيف اليه معلومات او حقائق أو صوراً ان يبادر الى الاتصال بمحققه وناشره على العنوان التالي : (نابلس ص.ب. ٤٧٤) للافادة منها في طبعة الكتاب الثانية باذن الله . والله ولي التوفيق

أ. د. يحيى جبر

بسم الله الرحمن الرحيم

تاريخ قرية (١) قلقيلية

ان لقلقيلية تاريخ عمران قديم وتاريخ عمران جديد ، فالقديم لا يعرف تاريخه بالضبط ، الا انه يتبين لنا من الاثار القديمة الموجودة بها ، وهي أثار رومانية وأثار عربية اسلامية ، أنها كانت عامرة في زمن الروم وفي زمن الاسلام .

والدليل على العمران الرومي هو وجود نواويس أي قبور رومانية منحوتة من الحجر ، وقد حدثني بعض اشياخ القرية أنهم في عهد الحكومة التركية كانوا يأتون للقرية بحاثين عن الاثار ، ويحفرون هذه القبور ، ويخرجون منها قواوير وصلبانا ، و هذا مما يدل دلالة واضحة على انها كانت مأهولة في عهد الرومان .

ودليلنا على العمران الاسلامي ، الذي كان قبل عمرانها الحالي الجديد ، هو وجود جامع قديم في القرية ، من قبل أن يأتي اليها اهلها ويعمرونها العمران الحديث ، وهذا الجامع مؤلف من خيمتين فقط ، وهو الان يحتل القسم الجنوبي الشرقي من الجامع الحالي ، فيكون ابتداء عمرانها الاول بتاريخ الفتح العمري ، ودليل أخر ، وجود اسماء لعلماء أفاضل مسلمين خرجوا من قلقيلية في العهد القديم .

وذكرت بعض اسمائهم في كتاب الانس الجليل ، منهم الشيخ الامام المحدث شمس الدين بن محي الدين محمد بن احمد بن ابراهيم بن مفلح القلقيلي ، نسبة الى قرية من اعمال جلجولية ، مولده سنه ٧٧٦ هـ ، وقد كان رجلا صالحا وعالما فاضلا حسن المذاكرة وكثير العبادة ، توفاه الله في القدس الشريف ، وذلك سنه ٨٥٢ هـ .

ويوجد في القرية بئر ماء قديمة ترجع الى عهد الرومان ، والدليل على ذلك تكوينها ، و ليس عليها اشارة من تاريخ ، و انما هي منحوتة في أخرها من الحجر ، مقدار ثمانية عشر مترا ومبني منه مقدار عشرة امتار ، فيكون عمقها ثمانية وعشرين مترا ، وقد وجد بجوانبها حوضان منحوتان من الحجر ، كانا يستعملان لسقاية المواشي ، ولا يوجد على هذه الأثار أي تاريخ ، ويوجد على بعد من البئر مقدار ثلاثين مترا لجهة الشمال ، بيت قديم ، وهو اثر قديم قبل أن ينزل الى القرية اهلها الحاليون ، وهذا البيت معقود من الحجر بسقف واطىء جدا ، يشبه في تكوينه مغارة من المغاور ، وهو موجود الان يملكه الشيخ مصطفى (٢) الامام .

---

(١) هكذا في الأصل ، أما قلقيلية اليوم ، وكما هو معلوم لدى الجميع ، فمدينة .

(٢) يقصد المرحوم مصطفى صبري (انظر الموسوعة التربوية الفلسطينية ٤م١)

وقد ظهر لنا من البحث مع من لهم المام بتاريخ القرية القديم ان الذين سكنوها من الاسلام في العمران الاول قد جاءوا مع الفتح العمري ، ثم خربت ، و كان أخر عمرانها وخلوه من السكان سنه ٩٠٠هـ .

عمرانها الحديث

ان عمران قلقيلية الحديث كان بتاريخ سنة (١٢٢٠) هـ ، قسم من اهاليها جاءوا اليها من صوفين بهذا التاريخ ، وصوفين خربة الان (١) في ضواحي قلقيلية الشرقية ، وهي الان ملك لاهل قلقيلية ، وسنأتي على ذكرها مفصلا فيما بعد ، أما القسم الباقي من الذين نزلوا الى قلقيلية فهم قد جاءوا من قرية تسمى باقة ، وتقع هذه القرية ما بين قرية حجة و كفر عبوش ، وهي من اعمال نابلس ، وقد سكن القسم الثاني قلقيلية في سنه ١٢٢٢هـ ، وقسم ثالث أتى لقلقيلية من جهة قضاء غزة ، من قرية ، تسمى ابرير ، وهم المعروفون الان في قلقيلية بأل عطية ، وقد نزلوا قلقيلية بتاريخ سنة ١٢٢٠هـ

ذكر تفصيل تاريخ العائلات واسباب نزولها لقلقيلية وذكر شيء من انسابها

أن العائلات التي نزلت لقلقيلية اجمالا تسع عائلات ، وهم عائلة (صبري و الخطيب) (وعائلة الشنطي) وهاتان العائلتان اتيا من صوفين ، ونزلا قلقيلية ، وعائلة عطية اتت من قرية ابرير ، ونزلت قلقيلية ، و باقي العائلات : أل نزال و أل شريم وأل داود وأل زهران و ابو اجبارة وأل زيد ، هؤلاء العائلات الستة جاءوا من باقة الانفة الذكر ، فيكون قد مضى على عمران قلقيلية الحديث مائة واحدى واربعون سنة (٢) .

ان **عائلة الشنطي** أتت من قرية اسمها الجيّة في قضاء غزة ، واهلها من بلدة تسمى اشنيط في بلاد مصري (مصر) ، وسميت العائلة بهذا الاسم نسبة الى اشنيط ، واجداد هذه العائلة رجلان وهما يحيى ومحمد ، وقد نزلا صوفين مع عائلة صبري في سنة الف هجرية ومائة وثلاثين ، وجدّ هذه العائلة اسمه حسن ، وقد انحدرت هذه العائلة ، عائلة الشنطي الموجودة الان في قلقيلية ، من حسن وحسين ويوسف ومحمود ابناء يحيى ، ومن ابي بكر بن محمد .

---

(١) هذا في زمن المصنف ، أما اليوم فهي جزء من مدينة قلقيلية ، اذ امتد اليها العمران ، وعلى بعد ٣ كلم إلى الشرق الشمالي منها (في موقع عزبة أبي شامخ سابقا) أقام اليهود مستوطنة باسم تسوفيم وهي عبرنة لاسمها . وذلك سنة ١٩٨٨ .

(٢) إلى سنة وضع هذا الكتاب وهي سنة ١٩٤٢م .

عائلة صبري أو الخطيب ، وهي في الاصل اسمها عائلة صبري ، وقد أتى اليها اسم الخطيب من رجل هو أبرز هذه العائلة شخصا ، وهو الشيخ صالح بن الشيخ حسن الصبري ، وهذا الشيخ اي الشيخ صالح ، قد اختار لنفسه اسم الخطيب ، لانه كان اماما لقرية قلقيلية ، وخطيبا ورث الامامة عن والده الشيخ حسن الصبري ، وأمّ في حياة والده ، وقد درس العلم وطلبه على حضرة الشيخ علي افندي سليم في مدينة يافا ، وقد كان عالما فاضلا في علم النحو والتوحيد و الفقه والفرائض ، وهذا الشيخ "صالح الخطيب" انحدر من عائلة الخطيب الموجودة في قلقيلية الان ، وتوفي سنه ١٣٠٧هـ عن عمر بلغ ثلاثا وستين سنة .

ان عائلة صبري اصلها من بلده اسمها الشيوخ في قضاء الخليل ، وكان بالقرب من هذه البلدة قرية صغيرة تسمى صبرة ، سكنها احد افراد هذه العائلة ، وكانوا يسمونه الصبري ، وقد رجع احفاده الى قريةالشيوخ ، واصطبغت العائلة بهذا الاسم . اصل هذه العائلة الصبرية ، من القديم ، جاء جدهم من قبيلة من قبائل العراق اسمها بنو تميم ، وكان اسمه عبد الله بن حسن ابن محمد التميمي . وله أخ اسمه حسن بن محمدالتميمي ، سكن القدس ومنه عائلة التميمي الموجودة الان .

وفي سنة الف و مائة هجرية و ثلاثين هجرية(١١٣٠هـ) ، رحل احفاد هذا الرجل من قرية الشيوخ ، فنزل قسم منهم قرية بيت أمّر ، قضاء الخليل ، وهم الان يعرفون بالصبارنة ، وقسمان أخران ، وهما رجلان أخوان ، الاول ، وهو صلاح الدين ، سكن قرية كوبر من اعمال رام الله الان ، وانحدرت منه عائلة يعرفون بالصبارني الان ، والاخر وهو خير الدين ، سكن صوفين ، وانحدرت منه عائلة صبري والخطيب الموجودة الان في قلقيلية ، وقد نزل من ذريته قلقيلية ، اول من نزل اليها هواكبر احفاده الشيخ حسن الصبري ، الذي انحدرت منه جميع هذه العائلة ، ونفوسها الان (١) يربون على ثلاثمائة نفس ، اكثرهم متعلمون ، ومنهم معلمو مدارس ، ووعاظ ، وبوليس ، وإمامية ، وعلماء طلبوا العلم في الازهر الشريف .

بقي علينا العائلات التي أتت من باقة : عائلة نزال وشريم وداود ، كانوا في باقة عائلة واحدة ، وجدهم واحد ، اسمه داود ، وقد تفرعت في باقة هذه الثلاثة افراع بالاسماء المذكورة **فنزال** خلف مصطفى ويس وحمدان وحمد ، ومنهم انحدرت عائلة نزال الموجودة الان ، وأول من سكن قلقيلية من هذه العائلة حسن بن مصطفى ، وعبد العزيز بن حمدان ، وعثمان بن يس **وعائلة شريم** خلف هذا الرجل ، وهم نصر والمدلل ، واول من سكن قلقيليـة من ابنائهم علي بن نصر ، وعونيات بن المدلل ، وحسام بن الملاح ، الذي اتصل مع شريم واندمج بعائلته بالنسب . **وعائلة داود** . لقد خلف داود رجلين في باقة وهما : سليمان واحمد ، وقد نزل قلقيلية احفاد هذا الرجل محمد بن داود بن احمد ، وسليمان بن سلامة بن سلمان ،

---

(١) سنة ١٩٤٢م .

وقد انحدرت منهم عائلة داود الموجودة الان في قلقيلية ، وكان في باقة رجل اسمه **زهران** ، يمت بالقرابة الى داود من جهة المخول ، وقد نزل احفاده لقلقيلية ، وقد خلف زهران طه وابراهيم وعبد الله ، واحفاده ، وعبد الرحمن وحمد ومحمد ، و انحدرت منهم عائلة زهران الموجودة الان في قلقيلية .

عائلة زيد ، ان زيدا رجل وحده في باقة ، وهو زيد بن احمدالمعاني ، جاء من معان (١) ، وقد خلف زيد في باقة اصويلح واسماعيل والسمان ، ولزيد اخوان ، وهما عبد الحي وقيم فأحفاد زيد نزلوا الى قلقيلية مع أهلها في سنه ١٢٢٢ هجرية ، وأحفاد عبد الحي وقيم نزلوا قرية الطيرة بهذا التاريخ ، ومن ابناء زيد كان رجل اسمه الشيخ محمد الباقاني ، هذا الرجل اشتهر بالعلم ، وسكن نابلس ، وانحدرت منه عائلة صلاح الموجودون في الان في نابلس .

أما هؤلاء العائلات جميعا فهي من أصل حجازي ، جاءوا مع الفتح العمري الى قرية تسمى الدوايمة في قضاء الخليل ، وانتقل جدهم داود الاكبر الى باقة ، ومجيئهم للدوايمة من أصل حجازي ، جاءوا مع الفتح العمري الا عائلة ابو اجبارة ، فانها يمانية ، وعائلة ابو اجبارة انحدرت من رجل واحد اسمه مصطفى ابو اجبارة في باقة ، وقد خلف هذا الرجل ثلاثة رجال ، وهم : كايد وحسن ويوسف ، وقد نزل من أحفادهم الى قلقيلية مع اهلها كايد بن يوسف بن كايد وحسن بن عبد الرحمن بن حسن ، ويوسف بن مصطفى بن يوسف ، وانحدرت منهم عائلة ابو اجبارة الموجودون الان في قلقيلية ، ونفوس قلقيلية الان تربو على ستة الاف نفس (٢) ، وانه لتطور سريع في تاريخ هذه القرية بالنسبة لحداثتها في العمران .

الفتره التي بين العمران القديم والحديث

ان قلقيلية كانت عامرة قديما لحد سنه٩٠٠هـ ، وذلك بدليل خروج أخر رجل منها ، وهو الشيخ شمس الدين محمد القلقيلي ووفاته كانت في القدس الشريف في سنه٨٥٢ هـ ، ولحد تاريخ ٩٠٠ هـ ، لم يذكر لها عمران ، وعمران قلقيلية الحديث قد ثبت أنه في سنة ١٢٢٠ هـ ، فيكون كثرة الخراب مابين العمران القديم والحديث ثلاثمائة وعشرين سنة ، وتكون مدة سكن العائلات التي سكنت صوفين الى حين نزولها قلقيلية تسعين سنة ، ويكون عمران قلقيلية بالضبط له مائة واحدى واربعون سنة (٣) .

---

(١) وهذا مايؤكده الكراشين أبناء عمومة آل زيد هناك . انظر سيرة حسين هلال (الموسوعة التربوية الفلسطينية ٥ج١) .

(٢) أما اليوم (١٩٩٤) فهم حوالي ٥٠ ألفا أو يزيدون .

(٣) لغاية ١٩٤٢م .

الاثار الموجوده في ضواحي قرية قلقيلية

خربة صوفين ، وخربة ابريكة ، وخربة بنيامين (١) . الاولى تقع في الشرق من القرية ، تبعد مسافة نصف ميل ، والثانية في الغرب الشمالي من القرية ، وتبعد كذلك نصف ميل ، والثالثة تقع في الغرب الجنوبي من القرية و تبعد نصف ميل أيضا .

أوصاف الثلاثة خرائب المذكورة

صوفين ذكرنا انها كانت مأهولة من قبل سكانها الذين نزلوا لقلقيلية ، ولا يعرف تاريخ عمرانها . واسباب خرابها هو ان طريق الحاج كانت تمر بالقرب من قلقّيلية ، وكانت اذ ذاك قلقيلية خرابا ، وصوفين قرية صغيرة عامرة بأهلها ، وكان بئر نبع موجودا في قلقيلية ، وكانت قافلة الحجاج والمحمل التي تأتي من الشام ومعهم جنود أتراك و باشا ، يكون رئيس هذه القافلة - يستريحون على بئر قلقيلية ، وكان الباشا يطلب من بعض القرى التي يمر بها جملا واحدا من القرية ، لكي يستعين به على حمل لوازم الحاج أو الجند ، فلما مر ببئر قلقيلية ، ونزل عليها في سنه ١٢٢٠هـ ، أرسل جنديا الى قرية صوفين يخبرهم فيه بأنه يلزم له من القرية جمل ، وذلك بأمر من الخليفة ، فلما وصل الجندي الى القرية ، واخرج لهم الامر ، كان اذ ذاك خطيب القرية غائبا عن القرية وليس في القرية من يعرف يقرأ الامر ، وكان موجودا في القرية ، رجل اسمه الشيخ عبد الله سنيفة ، جاء للقرية صدفة ، فكلفوه بقراءة الامر فقرأه وأجاب من نفسه لرسول الباشا بأنا سمعنا وعصينا ، ومزق الكتاب ، وبعد رجوع الرسول أعلم أهل البلدة بما فعل ، فاستنكروا الامر ، وتشاوروا في بعضهم بأن يذهب منهم وفد لمقابلة الباشا ، ويقدموا له الطاعة مع تقديم الجمل ، وبعد أخذ ورد أخروا ذلك للصباح ، فلما اصبحوا وجدوا الباشا و عساكره قد رحلوا وقد فاتت الفرصة لتلافي الدمار . فرسول الباشا اخبره بما جرى ، والباشا بعد رحيله عن بئر قلقيلية بعث للسلطان يخبره بعصيان صوفين ، فامره السلطان بعد رجوعه من الحاج بأن يعاقب اهالي صوفين على عصيانهم ، وقد فر من عندهم من عمل هذه النادرة (٢) .

أما الباشا ، فعند رجوعه نزل ثانية على بئر قلقيلية ، وبدون أنذار سلط مدفعا ضخما على قرية صوفين ، و ضربها ، فتشتت اهلها ، وهدم اكثر بيوتها ، ولم يرفع الضرب عنها حتى عمل

---

(١) أقرب إلى قرية كفر سابا المدمرة ، وتعرف باسم ابني يامين أو أمين .

(٢) يقصد الشيخ عبد الله السنيفة .

اهل صوفين علما أبيض ، ورفعوه حتى رفع الضرب عن بلدتهم ، ونزلوا لمقابلة الباشا ، وقد تبين من الامر انهم غير عاصين ، وانما عمل ذلك رجل من غيرهم ، وقد اصبحت بيوتهم لا تصلح ، لكن خرجوا منها الى قلقيلية ، ويوجد لحد الان آثار المنازل بها ، ومقبرة القرية ، ومما ينوف على ثلاثين بئرا من آبار الشتاء ، ولم يعرف فيها الان باسم اصحابها القدماء غير بئر واحدٌ وقبر واحد ، وهما باسم الشيخ صالح بن خير الدين الصبري . وقد قيل ان صوفين سكنها من القديم اناس اسمهم آل عقل ، ويوجد للان بئر نبع تسمى بئر عقل ، وهي مردومة الان . اما الخربة الثانية وهي **ابريكة** ، يوجد بها من الجهة الجنوبية مقام ، وفيه ضريح نبيّ الله شمعون بن يعقوب ، وفيها من الجهة الغربية بئر شتاء ، وبئر نبع في الجهة الجنوبية الشرقية ، لكن هذه البئر مهدومة . وظاهرة آثارها وآثار البناء موجودة فيها للان ، ولم يعرف عنها شيء .

والخربة الثالثة هي خربة **بنيامين** ، لقربها من مقام بنيامين الموجود في القسم الغربي منها سميت بهذا الاسم ، وفيها مقبرة قديمة من جهة الشمال ، ويوجد في هذه المقبرة مقام ، وفيه ضريح لسراقة (١) ، ولا يوجد على ضريحه تاريخ ، اما مقام بنيامين ففي ساحته قبران عليهما تاريخهما .

ويوجد تاريخ على الباب الخارجي ، وفي الجهة الشرقية تاريخ آخر ، ومن جهة سور المقام للغرب توجد بئر ماء نبع قديمة ، ليس عليها تاريخ . هذه هي الاثار التي في ضواحي قلقيلية .

تاريخ جامع القرية

كان موجودا في قرية قلقيلية جامع صغير قبل نزول اهلها الحاليين اليها ، وهو مؤلف من خيمتين صغيرتين ، وهو يؤلف القسم الجنوبي الشرقي من الجامع الموجود الان ، فقام الشيخ حسن الصبري امام القرية بتوسيع الجامع ، وصرف من جيبه الخاص على بناء ثلاث خيام اخرى في القسم الجنوبي من الجامع ، وقد بنى هذا القسم بتاريخ سنه ١٢٦٣هـ ، وقد نقش تاريخه على حجر في الجامع بخط الشيخ حسن المذكور ، وهذا التاريخ مؤلف من الابيات التالية :

هذا ايوان أسست بنيانه   على التقى و جامع الخيرات
طوبى لمن أضحى اليه معمرا   بعبادة في سائر الاوقات
قد قلت في التاريخ تم بناؤه   انما الاعمال بالنيات

وقد ساعده ايضا في النفقة على بناء هذه الاواون الثلاث قيم بن الحاج محمد زهران من قلقيلية وبعد وفاته ، رحمه الله ، قام خلفه من بعده الامام نجله الشيخ صالح بن الشيخ حسن

---

(١) تسمية العامة (النبي سراقة) ولعل المقصود سراقة الصحابي !

البصري ، وهو اكبر اولاده ، وهو الذي اختار لنفسه اسم الخطيب ، وباشر بتوسيع الجامع ، وقد ساعده المحسنون من القرية ، فبنى في سنة ١٢٨٥ هـ ثلاثة اواوين ، وهي الان تؤلف القسم الشمالي من المسجد ، وفي سنه ١٢٩٥هـ قام رجل محسن من أهالي نابلس اسمه سليم أفندي عاشور ببناء ايوان على باب الجامع الشرقي وصرف عليه من جيبه الخاص .

وفي سنة ١٣٠٢هـ امر قائم مقام قضاء طولكرم ، واسمه محرم بيك ، من اهالي صيدا ، ببناء مدرسة في القسم الغربي الشمالي من الجامع ، وقد باشر اهل القرية في ذلك حتى ارتفع البناء مقدار مترين ، وتوقف العمل فيها مدة عشر سنوات ، وبعدها قام أمام القرية الشيخ محمد بن الشيخ حسن الصبري ، وباشر بحثّ المحسنين على تتميم هذا البناء ، فتبرع المحسنون ، وأقاموا هذا البناء ، وصار مدرسة للتلامذة ، ثم طرأ عليه خلل فانهدم ، وجدد اهل البلد بناء هذا القسم ، وسقفوه بالاسمنت ، ووضعوا فيه حنفيات ماء للوضوء ، وذلك في سنه١٩٢٤ ميلادية ، وكان ذلك في زمن رئاسة يونس أفندي العمر للبلدية ، وقد كان بناء حاووز الماء ومد المواسير الرئيسية للماء في زمن وبمباشرة يونس أفندي المذكور .

وفي سنة ١٣٦٠هـ الموافق ١٩٤٢م قامت لجنة من اهل الاحسان في البلد بجمع التبرعات من المحسنين ، واعاد بناء باب الجامع الشرقي ، وبناء مأذنة للجامع ، وتوسيع الجامع الى الشمال ، فأضافوا اليه مساحة واسعة اشتروها من بيوت المجاورين ، واقاموا فيها خيمتين بالسقف الحجر ، وكان اكبر المتبرعين في هذا المشروع رجل محسن من اهل القرية اسمه الحاج يوسف الحسين ، من عائلة اشريم ، ودفع في هذا المشروع مبلغ خمسين جنيها ، كما انها تبرعت امرأة واحدة محسنة من نفس العائلة بمبلغ اربعين جنيها ، وما بقي من المشروع للمأذنة وتتميم الجامع جُمع من اهالي البلد ومن اهل الخير والاحسان الخارجين عن البلد .

وقد عمل للمسجد مراحيض خارجة عن المسجد ، وهي مجاورة له من جهة الغرب ، وعملت لها المجاري ، وذلك كله بمباشرة المجلس المحلي في قلقيلية الذي رئيسه الان عبد الرحيم أفندي السبع .

قدم تاريخ المدرسة (١)

ولنأتي الى تاريخ تأسيس المدرسة الاميرية في القرية ، وكيف كانت الدراسة ، قبل المدرسة الاميرية .

قبل ان تؤسس الحكومة المدرسة الابتدائية في القرية ، كان لزاما على امام القرية ، ان يعلم ابناء القرية ، وكان امامها الاول هو المذكور سابقا الشيخ حسن الصبري ، فقام بالتدريس

---

(١) في الاصل ، المسجد والصواب المدرسة بحسب ما سيرد في النص التالي .

للتلامذة مجانا حتى توفي ، وبعدها لم يقم بعده إبنه الاكبر بتعليم التلامذة ، فجاء رجل مصري اسمه الشيخ حامد (١) ، وقام بتعليم الاولاد مقابل اجر يومي ، وهو رغيف من الخبز عن كل تلميذ او قرصان من خبز الذرة ، وفي كل خميس بيضة دجاج ، ومضى على ذلك الى سنة ١٢٩٨ هـ وتوفاه الله ، وقام بعد ذلك بهذه المهنة الشيخ عبد الرحمن الصبري احد انجال الشيخ حسن الصبري ، وكان التلامذة لا يدرسون الا القرآن والحساب البسيط ، ويتعلمون الصلاة واحكام الغسل والوضوء والكتابة ، ويجلسون على الارض ، ليس لهم مقاعد خشبية ، ودام ذلك الى سنة ١٣٠١هـ ، وبعدها تشكّل مركز الحكومة في طولكرم ، وكان القائم مقام محرم بيك من اهالي صيدا ، وكان رجلا مصلحا ، فأمر اهالي القضاء بزراعة الزيتون ، وطلب من الحكومة فتح مدارس اميرية ، في جميع القرى ، فأجابت حكومة بيروت (٢) طلبه بفتح عشر مدارس في كبار قرى القضاء ، ففتحت في قلقيلية والطيبة والطيرة وطولكرم وقاقون وكور وعنبتا وعتيل وباقة ودير الغصون ، وكان ذلك في سنه ١٣٠١ ، وابتدأ التدريس في الجامع ، وكان اول من حضر معلما للقرية عبد الرحمن افندي سلام ، من عائة سلام المشهورة في بيروت ، وبعده بسنتين جاء معلم اسمه محمد افندي سنو من بيروت ايضا ، فأقام سنة واحدة وخلفه الشيخ محمد العورتاني ، وبقي مدة سبع عشرة سنة .

وقد بقي التدريس في الجامع ، في زمن العهد التركي ، حتى بنيت المدرسة الاميرية الموجودة الان ، وقد بنيت بعد بناء السراي بسنة واحدة ، فالسراي بنيت سنة ١٣٣٠ والمدرسة سنة ١٣٣١ هـ ، وكان ذلك في زمن رئاسة يونس أفندي العمر للبلدية ، وقد ساعد في طلب بناء المدرسة ، وقدم ارض المدرسة ، وارض السراي الخصوصية ، وفي زمن رئاسة الحاج نمر أفندي السبع للمجلس المحلي طالب باسم المجلس المحلي من المعارف توسيع المدرسة ، وقد وسعت المعارف المدرسة بمعاونة اهل القرية ، واضافت اليها خمس غرف اخرى ، وذلك بتاريخ (...) (٣) هذا تاريخ المدرسة الابتدائية الاميرية في القرية .

---

(١) ترى هل ينتسب اليه ال حامد من عشيرة نزال الموجودون الآن في قلقيلية ؟ ي . ج .

(٢) كانت هذه المنطقة تتبع ولاية بيروت في عهد الدولة العثمانية .

(٣) أغفل المؤلف ذكر السنة ، ولعل ذلك كان حوالي ١٩٣٠ لأن الحاج نمر السبع تولى رئاسة البلدية من ١٩٢٧/٨/٢٥ - ١٩٣٨م .

تاريخ تأسيس البلدية في القرية

ان تاريخ تأسيس البلدية في البلدة هو بتاريخ سنه ١٣٢٩هـ ، امر بتشكيلها قائم مقام طولكرم ، وانتخبوا اهل البلدة المجلس ، رأسه السيد يونس أفندي العمر ، واقام فيها الى سنة ١٣٣٦هـ ، وقد فتح في مدته الشارع العمومي الذي يمر من البلدة .

وفي سنه١٩١٨ ميلادية كان الاحتلال البريطاني ، وأمر الحاكم الانجليزي باعادة انتخاب المجلس البلدي ، فانتخب اهل القرية مجلسا بلديا برئاسة الشيخ ابراهيم أفندي الصبري من عائلة صبري ، واقام فيها سنتين حتى اعيد انتخاب المجلس ثانيا ، وكان رئيسه المرحوم الشيخ محمد أفندي القلقيلي ، وهو من عائلة صبري ايضا ، وكان من اعماله الخيرية هو اقامة موتور على بئر البلدة وايجاد الطاحون ، وأراح اهل البلدة من نشل الماء بالحبال ، وعمل خزانا للماء بجانب البئر ، وعمل له حنفيات جملة . وكانوا اهالي القرية يأخذون الماء من الخزان ، وذلك في سنة١٩٢١ وسنة ١٩٢٢م ، وقد استقال الرئيس المذكور ، والغت الحكومة المجلس البلدي ، وعملت مجلسا محليا يرأسه السيد حسين أفندي هلال ، وقد عمل في مدته تصميما لعمل خزان مرتفع للماء في القرية ، واشاد غرفة الكاتب ، حتى خلفه من بعده السيد يونس العمر ، وقام ببناء الخزان ومد المواسير الرئيسية في البلدة ، وذلك من مدة ١٩٢٤ الى سنة ١٩٢٧ ، وقد تجدد الانتخاب في المجلس ، فاستلم الرئاسة الحاج نمر أفندي السبع ، وقد تمم شبكة المواسير في البلدة ، وبنى غرفة البلدية وغرفة البريد ، وقد استجلب البريد للقرية سنة ١٩٢٩م ، وظل رئيسا للمجلس حتى خلفه أخوه الاصغر عبد الرحيم أفندي السبع ، قد انتخبه اهل القرية ، رئيسا للمجلس المحلي ، وذلك بتاريخ سنة ١٩٣٩م ، وقد عمر المجلس في مدته مراحيض الجامع ، وأصلح المجاري في القرية ، وفتح سوقا للحيوانات وأوجد عيادة للعيون ورعاية الطفل وترميم الواد الذي يقع في القرية من الجهة الجنوبية وتصليح الشارع العام .

وللذكرى والتاريخ صار ذلك مفصلا ومبينا بأن الاتحاد والتعاون اسرعا بتقدم ونمو هذه القرية نموا فائقا ، وجزى الله المصلحين كل خير .

وقد بنت المعارف في قلقيلية مدرسة للبنات مؤلفة من غرفتين ، بالتعاون مع أهل القرية ، وقد تأسست مدرسة البنات في سنة١٩٣٥م .

تاريخ النطور الزراعي في القرية

كانت قرية قلقيلية قبل سنة الف ومائتين وثمانين قرية صغيرة ، واملاكها مقتصرة على ضواحي البلدة القريبة ، ففي الشمال كانت املاكها لا تتجاوز واديا اسمه وادي السدر ، ويبعد هذا الوادي مسافة قليلة عن البلدة ، مقدار خمس دقائق ، وفي الجنوب تمتد املاكها الى وادي يسمى وادي المصرارة ، وهو في المسافة عن البلدة مثل وادي السدر ، وفي الغرب واد اسمه وادي القطعة ، وهو اقرب الى القرية من الواديين السابقين ، واما من جهة الشرق ، وهي ارض جبلية ، فهي تملك الى حدود خربة صوفين ، الى الحد الشرقي من املاك صوفين القديمة .

وقد تطورت حالة الزراعة في البلدة ، وحالة التملك ، فاتسع اهلها مشترى (١) الاراضي من البلدان المجاورة ، فأصبحوا يملكون ثلث اراضي قرية حبلة ، ونصف الثلث من اراضي جلجولية ، ونصف اراضي ابيار عدس ، وربع اراضي قرية كفر سابا ، واصبحت املاكها تمتد الى نهر العوجة ، وذلك ابتداء من سنه١٢٨٥هـ .

وأول من نهض وفكر في زراعة البرتقال رجلان من قلقيلية ، وهما حسن العلي النصر و محمود بن مصطفى العلي ، من عائلة اشريم ، وحفرا بئرين ، وزرعا البرتقال ، وذلك سنه ١٢٩٨هـ .

وفي سنه ١٣٢٠هـ التفت اكثر اهل البلدة الى مشروع زيادة البرتقال ، وصار من هذا التاريخ الى هذه الايام يقوم في كل سنة اناس منهم في حفر الابار ، وايجاد البرتقال ، حتى اصبح الان لاهالي قلقيلية نحو من ثمانية وستين بيارة برتقال ، وتقدر مساحة هذه البيارات بنحو ثمانية الاف دونم تقريبا ، وكانت مساحة اراضي قلقيلية سابقا لاتزيد عن سبعة الاف دونم ، والان يملكون من الاراضي ما هو مقدر بثمانية وعشرين الف دونم سهلا وجبلا ، ويملكون عشرة الاف دونم امتلكوها من اراضي القرى المجاورة ، فيكون مجموع ما تملكه قلقيلية من الاراضي بالضبط ثمانية وثلاثون الف دنم ، ما بين رمل و حمراء وارض جبلية .

---

(١) بمعنى شراء واشتراء ، أو مشترو الأراضي

عائدات البرتقال

كانت عائدات البرتقال الى قلقيلية قبل الحرب الحاضرة (١) تقدر بثلاثين الف جنيه فلسطيني ، حيث معظم البيارات كانت لاتزال اشجارا صغيرة ، واما الان ، اذا مشينا على تقدير حالة السلم و راوج تجارة البرتقال فانه يعود على البلدة بنحو خمسين الف جنيه فلسطيني قابلة للزيادة في ما بعد .

وقد تحسنت حالةالزراعة في القرية تحسنا محسوسا بحيث كانت في السابق منحطة ، وكان الفلاح في البلدة يحرث على بقر ضعاف ، ويكتفي بزراعة الحبوب والخضار البعلية البسيطة ، ولا تأتي اليهم بفائدة كثيرة .

ومن تاريخ الاحتلال البريطاني فكر اهل القرية في بيع البقر وشراء الخيول ، ومشوا على ذلك تدريجيا حتى اصبح الان اكثرية الاهل يفلحون أراضيهم على الخيول ، ويحرثونها حرثا جيدا ، ويسمدونها ويحرثونها في الصيف بالماكنات الحراثية ، وصارت من ذلك تعود عليهم بالفائدة حتى اصبح يقدر مجموع مايعود على القرية من الزراعة ما قيمته خمسة وعشرون الف جنيه فلسطيني .

---

(١) يعني الحرب العالمية الثانية (أيام ألف هذا الكتاب) .

التطور التجاري في البلدة

قد كانت اهالي قلقيلية من القديم لا يعرفون للتجارة طريقا الا بعضا منهم يتعاطى تجارة المواشي ، ودكانين او ثلاثة في القرية لا يزيد رأس المال الموجود بجميع هذه الدكاكين عن عشرة الاف من القروش التركية .

اما الان ، ففيها من تجار الفاتور ما يزيد على خمسة عشر تاجرا ، اكثرهم من الذي لايقل رأس ماله عن خمسمائة جنيه ، وفيها من تجار الحبوب والبقالة والمؤن والفواكه ما يزيد عن اربعين تاجرا ، وفيها نحو من ثمانية جزارين للحم ، وفيها عدة تجار يتعاطون التجارة في المواشي والحبوب والاقمشة الى الخارج ومن الخارج ، ويصلون الى سوريا ومصر في تجارتهم . واصبح ما يقدر عائدا من التجارة على القرية من الربح ما لا يقل عن ثلاثمائة جنيه فلسطيني .

التطور العلمي في القرية

كان المتعلمون من اهالي القرية قلائل جدا ، ويعدون على الاصابع . الان فتحت مدرسة قلقيلية الاميرية التى بنيت بمجاور السراي ، وهي في سنة ١٣٣١هـ ، فانكب الطلاب فيها على الدراسة ، ومن هذا التاريخ ، وبعد الاحتلال البريطاني ، وليومنا هذا واهل القرية دائبون على ارسال ابنائهم الى المدرسة ، فنجح الكثير منهم ، وتخرج منهم معلمون ، منهم من تعلم في الكلية العربية ، ومنهم من اقتصر على التعليم الثانوي ، واصبح المعلمون من اهل القرية يزيد عددهم على خمسة عشر معلما . واجمالا ، فان الحالة الثقافية في القرية اصبحت واسعة الوصف ، وقد تخرج كثير في مدارس قلقيلية ممن استفادوا وافادوا انفسهم واهلهم ، فمنهم المعلمون والبوليس والموظفون في مكاتب الحكومة ومكاتب التجارة ، ومنهم في المحاكم الشرعية ، ومنهم الوعاظ ، وقد كثر عدد الموظفين في هذه القرية بحيث يقدرما يعود من الراتب السنوي للموظفين اكثر من ثلاثة الاف جنيه فلسطيني .

وقد اصبحت قلقيلية الان فيها اربع مدارس ، وهن مدرسة الذكور الاميرية ، ومدرسة البنات الاميرية ، ومدرسة الفلاح الوطنية ، واستاذها الشيخ حمد الشيخ صالح الخطيب سنة (١٩٣٩م) ومدرسة اهلية اخرى مديرها الشيخ عبد الرحيم العورتاني ، اسمها مدرسة الآداب الاسلامية سنة (١٩٣٠م) وعدد المعلمين في مدرسة الذكور الاميرية تسعة معلمين ، ومدرسة البنات معلمتان ، وبالاتفاق مع أهل القرية سعى مدير مدرسة قلقيلية السيد سلامى أفندي خليل من قرية الطيبة ، وهو المدير الحالي ، لدى المعارف بطلب توسيع مدرسة التلامذة المذكورة ، فأجابت بأن جعلت السراي الموجودة الان للمدرسة ، ونتج عن ذلك ان كان في وسع المدير ان يعمل منزلا للطلاب الاغراب ، وكان ذلك ، وقد رجع بفائدة تذكر على ذكر البلد التاريخي ، وعلى اقتصاديات البلد ايضا ، وافادها ادبيا وماديا ، وذلك في سنه ١٩٤٢م .

وهذا تارخ قلقيلية مفصلا من يوم عمرانها الى يومنا هذا المؤرخ له ٤٢/٢/٢٢م .

نظرة ملحقة الى المواشي والدواجن في القرية

ان المواشي مبدأها في هذه القرية قليل بالنسبة الى القرية ، ولما نمت وتطورت حالة القرية في اواسط نموها ، وهو ما بين سنة خمسة وسبعين بعد الف ومائتين هجرية ، وبين الف وثلاثمائة وخمسة عشر هجرية ، تحسنت حالة المواشي حتى كان اكثر اهلها يوجد عندهم الكثير منها ، وكانت تقدر المواشي في القرية بأقصى حد وصلت اليه ، وهو عشرة الاف رأس من الغنم ، ما بين ماعز و بيضاء ، ولايقل عن الفي رأس من البقر ، مابين عمال (١) وحلابة ، وكان فيها من الخيول الاصايل ما يزيد عن مائة فرس ، ومالا يقل عن مائتي جمل ، والدواجن ففي القديم والان ، تكاد تكون واحدة او تزيدالان زيادة بسيطة (٢) .

اما الان ، فقد قلت حالة المواشي في القرية لامرين :- الاول رداءة المرعى ، وقلته ، لضيق اراضي المرعى ، وكثرة الزراعة والعمران ، والثاني التفات الناس الى الزراعة ، مما جعل صاحب المواشي يبعها ويشتري بها اراضي أو خيلا للحراسة ، وعلى ذلك ، فقد اصبحت القرية الان لاتملك أكثر من الفي رأس من الغنم البيض والماعز ، والف رأس فقط من البقر واما الجمال ، فهي كعادتها الاولى وزيادة ، والخيول والبغال التي تستعمل للزراعة فهي أكثر بكثير من ذي قبل ، وهي تقدر الان بمائتي رأس من الخيول ، وخمسين من البغال ، ، ومائتي رأس من الابقار العاملة ، واما الخيل الاصائل التي كانت تستعمل للركوب فقط ، فتكاد تكون مفقودة الى خمسة رؤوس ، وهذا السبب يرجع لوجود السيارات الميكانيكية فقط .

---

(١) أي ثور يستخدم في العمل (أي الحراثة) وهذه الكلمة حجازية لدلالتها .

(٢) فماذا لو قدر له أن يرى حظائرها اليوم ؟

قلقيلية: (١٧٦ـ١٤٦)

بلدة عربية في حدود السهل الداخلي مع جبل السامره، تبعد حوالي (٣) كم شرق كفار سابا، وتقع في مكان لاستيطان قديم على طريق قديم، ومحطة للطرق كانت تدعى (قلقاليا) في العصر الروماني. وفي الحرب العالمية الأولى استوطنت فيها بضع أسر يهودية من الذين طردوا من تل أبيب. وحسب اتفاقيات الهدنة التي تلت حرب ١٩٤٨ ضمت الى المملكة الأردنية، وكانت قاعدة (للمقاومة الفلسطينية) في أعوام الخمسينات والستينات، وتعرضت للأعمال الانتقامية الاسرائيلية مرات عديدة، وفي حرب حزيران عام ١٩٦٧ نسفت القوات الاسرائيلية عدداً من منازل هذه البلدة، وقد أقيمت هذه المنازل مجدداً بعد تلك الحرب. وعدد سكان بلدة قلقيلية زهاء ٩٠٠٠ نسمة، وفي محيطها عثر على أدوات صوانية مما يدل على وجود استيطان في زمن ما قبل التاريخ.

مصورة " من الجزء الثاني من كتاب " كل مكان وأثر في فلسطين " الذي أصدرته دائرة الثقافة في الجيش الاسرائيلي ..... الطبعة الثامنة ١٩٨٥ طبع وتوزيع مؤسسة " كرتا " للطباعة ورسم الخرائط .

- ترجمة عيد حجاج . منشورات مركز الدراسات العبرية - الجامعة الاردنية - الطبعة الاولى سنة ١٩٩٠ والرقمان (١٧٦ - ١٤٦) يشيران لموقع المدينة على خارطة فيه مقسمة افقيا وعموديا بالارقام على هيئة خطوط طول وعرض . وهذا دون مسؤولية عما ورد فيها من معلومات .

* **قلقيلـة :**

من أعمـال جلجوليـة ! إلى الغـرب من نابـلس والجنـوب من طولكـرم ، منها الشيـخ شمس الدين أحمد القلقيلي المحدث ببيت المقدس ؛ ولد سنة ٧٧٦ هـ . وكان يقرىء الأطفال بجلجولية دهراً .

من كتاب معجم البلدان الاردنية والفلسطينية حتى نهاية القرن الهجري السابع تأليف د. يحيى عبدالرؤوف جبر ، منشورات دائرة التربية والتعليم العالي بمنظمة التحرير الفلسطينية - عمان سنة ١٩٩٠

مع تحيات،،،

www.myqalqilia.com

قلقيلية بين الأمس واليوم